الغزو الفكري وأثره على منهج سعيد النورسي في تفسيره للآيات القرآنية

ليث سعود جاسم* وزمخشري بن حسب الله**

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى دراسة الغزو الفكري وأثره على منهج سعيد النورسي في تفسيره للآيات القرآنية، والكشف عن أهم مظاهر تعامل النورسي مع أحداث الغزو الفكري وآثاره على منهجه التفسيري. ويتجلّى ذلك في المواقف التي اتّخذها النورسي من ذلك الغزو في مختلف الجوانب؛ العقدية، والسياسية، والاجتماعية، والاقتصادية، والتعليمية. وقد قام بهذا الأمر من أجل التصدي للآثار السيّئة التي قد أنتجها ذلك الغزو في أوساط الأمة الإسلامية بعامة، وفي تركيا بخاصة.

الكلمات المفتاحية: الغزو الفكري، منهج التفسير، النورسي، رسائل النور، التحديث

Abstract

This research aims to study the ideological invasion and its impact on the approach of Said Nursi in his interpretation of the Quranic verses and detection of the important manifestations of Nursi in dealing with the events of ideological invasion and its impact on his interpretative approach. This is reflected in the positions taken by Nursi in face of this invasion, in various aspects such as doctrinal, political, social, economical, and educational. He did so in order to address the negative effects that might have been produced by this invasion among the Muslim Ummah in general and in Turkey in particular.

Key words: Ideological Invasion, Approach of Interpretation, Al-Nursi, Rasial Al-Nur, Modernising

Abstrak

---

[*] أستاذ مشارك في قسم دراسات القرآن والسنة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

[**] طالب دكتوراه في قسم دراسات القرآن والسنة، كلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية، لجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

Kajian ini bertujuan untuk mengkaji pencerobohan ideologi dan kesannya pada pendekatan Said Nursi dalam interpretasi ayat-ayat al-Quran-nya dan pengesanan manifestasi penting Nursi dalam berurusan dengan peristiwa-peristiwa pencerobohan ideologi dan kesannya terhadap pendekatan berinterpretasi beliau. Ini digambarkan dalam posisi yang diambil oleh Nursi dalam menghadapi pencerobohan ini, di pelbagai aspek seperti doktrin, politik, sosial, ekonomikal dan pendidikan. Beliau membuat demikian untuk menyerlahkan kesan negatif yang mungking dihasilkan oleh pencerobohan ini di kalangan umat Islam, khususnya di Turki.

Kata Kunci: Pencerobohan Ideologi, Pendekatan Berinterpretasi, Al-Nursi, Rasial Al-Nur, Pemodenan

المقدمة

تُعدّ مرحلة القرنين التاسع عشر والعشرين من أشدّ المراحل دقّةً وتشابكًا وتنوّعًا في التحدّيات التي تواجه الأمة الإسلامية، والتي خطّط فيها الغرب مائة مخطّط، كما يقول الوزير الروماني المسيو دجوفارا D. Juvara في كتابه باللغة الفرنسية: "Cent Projets de Partage de laTurquie" (مائة مشروع لتقسيم الدولة العثمانية) القوة العالمية الأولى التي كانت في ذلك الوقت[1].

فكان القرن التاسع عشر عصر الغزو الفكري الذي استُهدِفت فيه الدولةُ العثمانية، في ضرب مرجعيّتها التي قامت على الكتاب والسنة. والقرن العشرون كان عصر التفكيك لهذه الدولة، ابتداءًا بأكل أطرافها باسم الاستعمار والتحديث، ثم بعد عزْل السلطان عبد الحميد الثاني سنة 1909م[2] كان عصر التفريغ الفكري والتفكيك الجيوبوليتيكي، ودُفعت دولة الاتحاد

---

[1] لوثروب ستودارد (Lothrop Stoddard)، **حاضر العالم الإسلامي**، تعليق شكيب أرسلان، ترجمة عجاج نويهض، (بيروت: دار الفكر، دت)، ج3، ص218.

[2] See: Eeman Mohamed Abbas, *Sultan Abdul Hamid II dan kejatuhan Khilafah Islamiah*, (Kuala Lumpur: Pustaka Salam, 2007), pp 44-46.

والترقي إلى الحرب العالمية الأولى، ثم قُسِّمتْ الكعكة في ضوء معاهدة سايكس بيكو (Sykes–Picot Agreement)[1] السرية بين فرنسا وانجلترا، وموافقة روسيا القيصرية، في16-5-1916م حيث تقاسمت القسم العربي بخاصة الشرقي والغربي، فكانت مصر والعراق وفلسطين لإنجلترا، وسوريا ولبنان والجزائر والمغرب لفرنسا[2].

على الرغم من أنّ الاستعمار العسكري والسياسي الغربي للعالم الإسلامي قد انتهى وانحسر عن أكثر بلدان العالم الإسلامي، إلا أنّ الغزو الفكري الذي بدأ مع بداية الاستعمار العسكري والسياسي- بل وقبل بدايته - قد استمرّ يعمل عمله في تبديل مبادئ المسلمين، وتغيير قِيمِهم الثقافية والفكرية والاجتماعية والأخلاقية، حتّى أنّ الناظر للمجتمعات الإسلامية اليوم ليجدها مختلفة كلّ الاختلاف عن المجتمعات الإسلامية قبل قرنين من الزمان، وقد أصبحت متشبّهةً بالمجتمعات الغربية في جوانبها الحياتية.

وهذا البحث،سيتناول مفهوم الغزو الفكري، والتعريف المختصر بسعيد النورسي، والمجموعة الكاملةلرسائل النور، وبيان منهجه التفسيري فيها، وكشف أهم مظاهر تعامل النورسي مع أحداث الغزو الفكري وآثارهاعلى منهجه التفسيري الذي أسهم من خلاله في صناعة الحاضر الذي نعيشه.

---

[1] انظر **الموسوعة الثقافية** بإشراف دكتور حسين سعيد (القاهرة ونيويورك: مؤسسة فرانكلين،1971م)، ص529. هو: سير مارك سايكس المستشلر بوزارة الخارجية البريطاني (1879-1919م) Sir Mark Sykes Colonel، (والدبلوماسي الفرنسي: فرانسوا جورج بيكو(1951م-1870) François Georges-Picot. See ,ar.wikipedia.org

[2] انظر: جورج أنطونيوس، **يقظة العرب: تاريخ حركة العرب القومية**، (بيروت: دار العلم للملايين، 1962م)، ص578-582. عبد الله التل، **خطر الصهيونية العالمية على الإسلام والمسيحية**، (بيروت: دار القلم، 1965م)، ص230-231. وانظر: خيرية قاسمية، **النشاط الصهيوني وصداه (1908–1918م)**، (بيروت: مركز الأبحاث، 1973م)، ص42.

مفهوم الغزو الفكري وأساليبه

اتفق العلماء على خطورة الغزو الفكري، ولكنهم لم يجمعوا على مفهوم الغزو الفكري نفسه. يقوم الغزو الفكري على"إقناع الأمة الشرقية بأنّها متخلّفة في جوهرها، متخلّفة في تاريخها وصميم تكوينها، ومن ثمّ فلا بدّ من انسلاخها تمامًا عن كلّ ما يربطها بماضيها، وعن كلّ ما يميّز ذاتها، وإعادة تشكيل المجتمع على الطراز الغربي من ناحية العادات والمظاهر السلوكية، مع إبقائه متخلّفًا عاجزًا عن إنتاج سلع الغرب، عاجزًا عن اكتساب بعضِ أفراده هذه المعرفةَ، فيجدون أنفسهم غرباء عاطلين عن العمل في مجتمعهم، فيضطرّون إلى النزوح إلى عالم المتفوّقين"[1].

ويرى الباحثان أن الغزو الفكري هو: "عملية تغيرية تستهدف إحلال مرجعي وفكري وثقافي من أمة غالبة على أمة مغلوبة في ظل التفوق العسكري والمادي، وهو مصطلح حديث أريد به التعبير عن محاولة إحلال فكر النهضة الأوربية ومرجعيتها بدل مرجعية الأمة المسلمة الشاملة لجميع جوانب الحياة التي ترفض اختزال الدين بالمفهوم الثيوقراطي الغربي". ويُعدّ إضعاف لغة الأمة المسلمة ودينها هو عين الإضعاف لفكرها وثقافتها، وإحلال لغة أمّة محل لغة أخرى هو إجبار للأمة المغلوبة على أنْ تفكّر كما تفكّر الأمة الغالبة. فهذه العملية لا شك أنها تستهدف الجذور لا القشور، وتحاول القضاء على الجوهر لا العرض، وتركّز على تشويه الأصول لا الفروع[2].

بين الغزو الفكري والتفاعل الفكري

ثمّة فرق بين مصطلح الغزو الفكري والتفاعل الفكري، فالتفاعل الفكري مشروع بل مطلوب؛ لأنّ التفاعل إنّما يكون من جانبين بين ندّين،

---

[1] محمد جلال كشك، **ودخلت الخيل الأزهر**، (بيروت: الدار العلمية، 1972م)، ص14.

[2] علي عبد الحليم محمود، **الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام**، ضمن البحوث المقدمة لمؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقدته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، 1396هـ، القسم الأول، ونشرته عام 1984م، ص1009.

يعطي كل منهما ويأخذ، واعيًا مختارًا غير مكره، ولا واقع تحت تأثير خاص. فهو يأخذ ما يحتاج إليه وفق معايير مدروسة، ويدع ما يدع تبعًا لمنطق معلوم، محتفظًا بهويته وخصائصه، غير مفرط في قيمه ومبادئه ومسلّماته المشخصة لذاته، قال ابن عبد البر الأندلسي[1]: "وروينا عن علي ﷺ أنه قال في كلام له: "العلم ضالة المؤمن فخذوه ولو من أيدي المشركين ولا يأنف أحدكم أن يأخذ الحكمة ممن سمعها منه". وعنه أيضا أنه قال: "الحكمة ضالة المؤمن يطلبها ولو في أيدي الشُّرَط".

أما الغزو فهو من طرف قوي لطرف ضعيف، أي من غالب قاهر لمغلوب مقهور مبهور لقوّة غالبه، فهو يأخذ منه ولا يعطيه، ويأخذ ما لا يحتاج إليه، بل يأخذ ما لا ينفعه، وإن كان قد ينفع صاحبه، بل كثيرًا ما يأخذ الضار ويدع النافع[2].

بالبحث والاستقراء في صفحات التاريخ الإسلامي وقر في قلوب أعداء الإسلام أنّ مواجهة المسلمين بالقوة لا فائدة منها، فقد جرّبوها عدّة مرات ولم تفلح، بل كانوا دائمًا هم الخاسرين، حتّى في المعارك التي انتصروا فيها كانت خسارتهم أفدح من خسارة المسلمين. فحوّل الغرب بناءًا على تجاربهم السابقة الغزوَ العسكري إلى الغزو الفكري، ذلك أنّ الفكر لا يقاوم إلا بالفكر مثله، ولا يمكن أنْ يقاوم بالسلاح، ولا تستطيع الجيوش الجرارة أنْ تجعل إنسانًا واحدًا يعدل عن فكرته بالقوّة[3].

---

[1] ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله، **جامع بيان العلم وفضله**، (القاهرة: إدارة الطباعة المنيرية، د.ت)، ج1، ص101.

[2] ينظر: يوسف القرضاوي، **الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي الإسلامي**، (القاهرة: مكتبة الوهبة، ط2، 1997م)، ص175.

[3] عبد الصبور مرزوق، **الغزو الفكري أهدافه ووسائله**، (مكة: مؤسسة مكة للطباعة والإعلام، 1993م)، ص40-41.

إنّ أعداء الإسلام يحاولون حصار الإسلام بكلّ الوسائل، فإن لم تنفع واحدة فربما نفعت الأخرى، وإذا لم تكن المواجهة الصريحة مفيدة، فهناك التسلّل بشتى الوسائل، وقد كانوا موقنين بجدوى العمل بنظرية حصان طروادة، وتعني دخول معسكرات المسلمين داخل أقنعة.

وفي هذا المجال شهد العالم الإسلامي غزو مجموعة من المنظمات العالمية المعادية، وهي تحاول التسلل إلى أمّة المسلمين تحت شعارات، ظاهرها فيه الرحمة، وباطنها من قبله الخراب عبر مجالات مختلفة، منها التربية والتعليم، والصحافة والإعلام، وتحرير المرأة.

ويُعدّ الاستعمار والاستشراق والتبشير وسائل لهذا الغزو، وإنّ ما جمعه عبد الرحمن حبنكة الميداني تحت اسم أجنحة المكر، ثلاث دعائم أساسية قام عليها الغزو الفكري الغربي، حيث إنّ دوائر الغزو الفكري اليهودية والنصرانية التبشيرية والاستشراقية مرافقة للحركات التبشيرية التي قامت بها الدول النصرانية ضد العالم الإسلامي، وأخذت وسائل هذا الغزو تتنامى وتتكامل وتجري فيها تعديلات وتبديلات، نبهت عليها التجارب، وساعدت عليها الوسائل الحضارية الحديثة، حتى أخذت نضجها في القرن العشرين الميلادي. ولقد التقت هذه الأدوات الثلاث فيما بينها في ثلاثة أهداف مشتركة؛ الكراهية والحقد على الإسلام، وكسب المغانم، ومحاربة الإسلام وتطبيقاته. وغفلوا عن حقيقة هذا الدين الربانية ورسالته الحضارية وبعده الفطري في عقائده وأحكامه، وهو فوق الزمان والمكان، وقابل للإنزال على الواقع في كل زمان ومكان.

وفي القرن الواحد والعشرين الميلادي أدرك العالم هذه الحقيقة، فتغير الغزو إلى محاولة الاكتشاف، والدراسة الموضوعية التي أظهرت فشل المنهجيات الوضعية وفرضياتها التي تتعامل مع الإنسان من خلال نظريات اقتصادية ونفسية واجتماعية وسياسية سادت قرنين من الزمان، مما جعل كثير من مفكري الغرب يبحث عن

رؤى ونظم جديدة يصلح بها أنظمة الحياة، وأن يستلهم ذلك من الإسلام القديم الجديد الذي لا يخلق لأنه صنعة الخالق، وبخاصة نظامه الفكري وتفسير الوجود، وايجاد نظام اقتصادي لا ربوي، بل والخضوع للمتغيرات في موازين القوى العالمية ودخول الإسلام رقما صعبا بغض النظر عن ألوانه فهي مرحلة تغيير مفصلي في تاريخ العالم لم يأت من فراغ وإنما من خلال حركة تراكمية أسهم فيها رجال ونساء وعلماء ومتخصصين بشتى المعارف وحركات ومؤسسات لتضع الأمة أمام تحديات دلية وخارجية هي مخاض للأمل من خلال الأمل ﴿والله غالب على أمره ولكن أثر الناس لايعلمون﴾ [يوسف:21].

والإمام النورسي أحد الذين أسهموا في رسم حاضرنا، من خلال مدافعة الغزو الفكري، ليصل به إلى التفاعل الفكري، وليستلهم نور القرآن المشرق من مشكاته، وليشيع إشعاعاته من خلال لمعات كلماته ومكتوباته، وليبني منهجًا للحياة من خلال الكشف عن إشارات إعجازه، ولتجتمع مع إشعاعات الصالحين المصلحين في بؤرة الإصلاح والبناء ... لبناء مستقبلنا الحاضر.

التعريف المختصر ببديع الزمان سعيد النورسي وكتابه (رسائل النور)

ولد سعيد النورسي سنة1873م الموافق عام1293هـ، في قرية نورس من قضاء خيزان التابع لولاية بتليس شرق الأناضول[1] في أسرة كردية صالحة تقية تعمل بالفلاحة والزراعة، فقد كان أبوه "الصوفي ميرزا" رجلاً ورعًا عابدًا، وأمه "نورية" امرأة صالحة، لا ترضع أطفالها إلا وهي على طهر ما استطاعت

---

[1] ينظر: النورسي، **سيرة ذاتية**، ص35. وينظر: إحسان قاسم الصالحي، **بديع الزمان سعيد النورسي: نظرة عامة عن حياته وآثاره**، ص 19. وينظر: أورخان محمد علي، **سعيد النورسي رجل القدر في حياة الأمة**، ص7. وينظر: محسن عبد الحميد، النورسي، **متكلم العصر الحديث**، ص10. وينظر: شكران واحدة، **الإسلام وتركيا الحديثة: بديع الزمان سعيد النورسي**، ص15. وينظر:
Colin Turner, Hasan Horkuc, *Said Nursi*, p5.Wan Jefree Wan Sulaiman, *Mujaddid Islam Syeikh Badiuzzaman Said Nursi*, p5.

إلى ذلك سبيلاً. وكان أخوه الكبير الملا عبد الله عالماً يقوم بمهمّة تدريس طلاب العلم. وتعدّ هذه الأمور كلّها مؤثرات اجتماعية أسهمتْ بشكل ملحوظ في بناء شخصية النورسي.

درس النورسي متنقّلاً من مدينة إلى أخرى على أيدي العلماء المعروفين في عصره منذ سن مبكّر، حيث إنه بدأ دراسته في العلوم العقلية والنقلية، وحفظ ثمانين كتابا من أمّهات العلوم العربية والإسلامية[1].

سمع النورسي، حينما كان في الثالثة والعشرين من عمره، كلامَ وزير المستعمرات البريطاني (غلادستون) Gladstone الذي صرح في مجلس العموم البريطاني، وهو يخاطب النواب، وبيده نسخة من القرآن الكريم، قائلاً: "ما دام هذا القرآن بيد المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم، لذلك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود، أو أن نقطع صلة المسلمين به". سمع النورسي هذا الخبر وهو في مدينة (وان) Van، فزلزل الخبر أركانه، ونذر أن يكرس حياته لخدمة القرآن الكريم حيث قال: "لأبرهنن للعالم بأن القرآن شمس معنوية، لا يخبو سناها، ولا يمكن إطفاء نورها"[2]. منذ ذلك الحين ازدادت رغبته في نشر الوعي في أوساط المسلمين عبر كتابته لكليات رسائل النور.

رسائل النور

تُعدّ رسائل النور موسوعة إيمانية رائعة تسدّ حاجة هذا العصر، وتخاطب مدارك أبنائه. وقد استقاها النورسي من فيض نور القرآن الكريم، وهي تفسير للقرآن الكريم يعتمد على حقائق الآيات وإثبات معانيها بتوضيحها

---

[1] ينظر: النورسي، **سيرة ذاتية**، ص46. وينظر: إحسان قاسم، **بديع الزمان سعيد النورسي**، ص21. وينظر: أورخان علي، **سعيد النورسي رجل القدر في حياة الأمة**، ص10.

[2] ينظر: النورسي، **سيرة ذاتية**، ص65-66. وينظر: إحسان قاسم الصالحي، **بديع الزمان سعيد النورسي**، ص26. وينظر: أورخان محمد علي، **سعيد النورسي رجل القدر في حياة الأمة**، ص21.

عبر استشهادات يتحاور فيها العقل والقلب. وهي تفسير لمعاني القرآن الكريم أكثر مما هي تفسير لألفاظ الآيات وعباراتها.

تتألّف رسائل النور من أكثر من 130 رسالة، تتميّز بخصائص مهمّة أدّت إلى التفاف قارئيها حولها، وجذبهم نحوها لانبثاقها من القرآن الكريم واتباعها للسنة المشرفة. ويمتاز أسلوب النورسي في رسائل النور بأنه أسلوب علمي دقيق واضح.

كان تأليف رسائل النور ونشرها شيئًا فريدًا ومتميزًا في تاريخ الدعوات الإسلامية المعاصرة، ذلك لأن النورسي لم يكن يكتب كثيرًا من رسائله بيده، وإنما كان يملي هذه الرسائل على بعض طلابه. وقد استغرق الوقت من سنة 1926م إلى سنة 1950م لتأليف رسائل النور جميعها، أي قرابة خمس وعشرين سنة[1].

أثر الغزو الفكري على منهج النورسي التفسيري في رسائل النور

لقد أدرك النورسي طبيعة المواجهة بين الإسلام وأعدائه، فهي لم تعد مواجهة عسكرية تتطلّب تصنيع السلاح وتطويره، وإن كان ضروريًّا، بل أصبحت مواجهة ثقافية حضارية، أقوى سلاحٍ فيها العلم. وهذه المواجهة تتطلّب الدعوة، بل القيام بجهود كبيرة لتسليح المسلمين به.

إنّ نظرة النورسي إلى التفسير نظرة شمولية تلائم خصائص القرآن الكريم الذي طرح قضايا شاملة، وخاطب الناس كافة في كل عصر من العصور، لذا فهو يرى أن الطريق الأمثل لإخراج تفسير جامع للقرآن الكريم يستجيب لحاجة العصر هو في اجتماع لجنة من كبار العلماء المتخصصين، كل

---

[1] ينظر: محسن عبد الحميد، الإمام النورسي رائد الفكر الإسلامي الحديث في تركيا، في **عجالة مقتطفة في حياة الإمام النورسي**، (بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1995م)، ص177.

في مجال تخصصه، يقوم كل عالم بدراسة مستفيضة في جانب من جوانب القرآن الكريم، فيحصل من مجموع تلك الدراسات على تفسير جامع للقرآن الكريم مستجيب لمستحدثات العصر[3].

كما أضاف النورسي إلى هذا الشرط شرطًا مهمًّا آخر هو ضرورة توافر الحرية الفكرية للمُفسِّر؛ إذ بدونها يختل جانب مهم في الدراسة العلمية الموضوعية المرجوّة[4]، ولتعذر تحقيق هذا الأمر، فقد شرع النورسي في تفسير القرآن الكريم أثناء الحرب العالمية الأولى مبتدئًا ببيان إعجاز القرآن البلاغي[5]، إلا أنّ ظروف الحرب والأسر لم تيسر له إتمام كتابه (إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز).

كما أنّ اشتداد موجة العداء للدين ومحاولة تحطيم أسسه، جَعَلَ النورسيَّ يغيّر منهجه في الدعوة إلى الإسلام. فمن خلال رسائل النور أصبح يدافع عن العقيدة ويرسّخ أركانها. وقد لجأ كثيرًا إلى تفسير آيات قرآنية في رسائله حتى عدّها كلها تفسيرًا لمعاني القرآن. يقول النورسي: "إنّ رسائل النور برهان باهر للقرآن الكريم، وتفسير قيّم له، وهي لمعة برّاقة من لمعات إعجازه المعنوي، ورشحة من رشحات ذلك البحر، وشعاع من تلك الشمس، وحقيقة ملهمة من كنْز علم الحقيقة، وترجمة معنوية نابعة من فيوضاته"[1].

ولكن هذا التفسير لم يَسِرْ على نمط واحد، ولم يتابع منهجًا محددًا، فالقارئ له يكتشف في بداية قراءته أو نهايته أنّ النورسي اتّجه إلى الآيات القرآنية اتّجاهًا روحيًّا، وتعامل معها تعاملاً ذوقيًّا، وهو ما يجعل القارئ يصنّف

---

[3] ينظر: النورسي، **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز**، ص20.

[4] ينظر: النورسي، **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز**، ص7-8.

[5] النورسي، **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز**، ص21.

[1] النورسي، **الملاحق**، ص220.

هذا التفسير ضمن التفسير الإشاري الخاضع للشروط والضوابط التي وضعها العلماء لقبولها.

وقد صرح النورسي نفسه أنّ تفسيره في رسائل النور من قبيل التفسير الإشاري المقبول حين يقول: "فنحن لا نقول في تلك الرسالة: إنّ المعنى الصريح للآية الكريمة هو هذا، ليقول العلماء: فيه نظر! ولمن قل فيها: إنّ كلية المعنى الإشاري هي هذه. بل نقول: إنَّ تحت المعنى الصريح للآية الكريمة طبقات متعدّدة من المعاني، إحدى هذه الطبقات هي المعنى الإشاري والرمزي. فهذا المعنى الإشاري أيضًا هو كليّ، له جزئيات في كل عصر. فرسائل النور فردٌ في هذا العصر من أفراد كلية طبقة المعنى الإشاري ذاك"[1].

إنّ إشارية النورسي في تفسيره لم تنحرف به عن القواعد والضوابط التي اصطلح عليها العلماء كي يكون التفسير مقبولاً، بل إنّنا نجد أنّ النورسي يؤكّد في أكثر من موضع أنّ شرط مقبولية أيّ وجه أو معنى يذهب إليه المفسر يكمن في مراعاة قواعد اللغة ومقاصد الشرع، فما دامت هذه الوجوه والمعاني محكومة بأصول التفسير فهي إذن مقبولة.

يقول النورسي في ذلك: "إن جميع الوجوه والمعاني التي هي صحيحة حسب علوم العربية، وصائبة وفق أصول الدين، ومقبولة في فن المعاني، ولائقة في علم البيان، ومستحسنة في علم البلاغة، هي من معاني القرآن الكريم، بإجماع المجتهدين والمفسرين وعلماء أصول الدين وأصول الفقه"[2].

ولئن كان النورسي قد سلك في تفسيراته مسلكًا إشاريًّا، فإنه لم يغفل التفسير بالمأثور، بل إنّه اعتمد عليه، وأبعد عنه كل شبهة؛ لأنّه نصوص قاطعة،

---

[1] النورسي، **الملاحق**، ص179-180.

[2] النورسي، **الكلمات**، ص456.

وأسس وأركان لا بدّ من الإيمان بها[1].

تجدر الإشارة إلى أن النورسي لم يجنح إلى الغلو في تفسيراته، مثلما فعل بعض الذين سلكوا هذا المنهج في التفسير. فعقل النورسي حاضرٌ في الرسائل عبر التحليلات الدقيقة والمناقشات المستفيضة لما هو معروض فيها، أضف إلى ذلك أنّ الآيات القرآنية ذاتها التي تناولها ببيان معانيها الخفية وإشاراتها البليغة، كان أغلبها ذات علاقة وثيقة بواقع الأمة الإسلامية، وما تتعرّض له من هجوم، يستهدف تحطيم عقيدتها، وتفكيك نظمها التشريعية والأخلاقية. نجد مثلاً رسالة الاقتصاد[2]، ورسالة الطبيعة[3]، ورسالة الحجاب[4]، كلها في اللمعات تتناول واقع العصر الذي عاشه النورسي الذي جعله يستخدم الإشارة لتلافي التعويق الأمني.

إنّ هذه الواقعية في طرح القضايا عبر رسائل النور هي التي جعلته يتصدّى للماديين، ويناقشهم ويبطل حججهم، وهي التي دفعتهم إلى مجادلة أهل الكتاب لبيان انحرافهم وضلالهم، وحملته على تصحيح التصور العقيدي لدى المسلمين، كل ذلك من أجل تجديد أمر الدين ومحاربة الانحراف المغلظ.

إن تفسيرات النورسي هي من قبيل التفسير الإشاري الموضوعي، أي الذي يتناول موضوعات معينة فقط، وليس كل الموضوعات التي يمكن أن يعرضها القرآن الكريم، لأنّ النورسي كان يرمي من وراء تفسيره إلى خدمة قضايا الإسلام والدفاع عنها. إذن فلا غرابة أن نلحظ التركيز الشديد على قضية الإيمان بالله ورسله واليوم الآخر.

---

[1] المرجع نفسه، ص501.

[2] ينظر: النورسي، **اللمعات**، ص211.

[3] ينظر: النورسي، **اللمعات**، ص 265.

[4] ينظر: النورسي، **اللمعات**، ص299.

ومن أهم الموضوعات التي تناولها النورسي في رسائله هي الله، والإنسان، والكون، والقرآن، والانتساب الإيماني، والأخلاق[1]. وكل موضوع من تلك الموضوعات يتناولها النورسي في ضوء ما فهمه من مقاصد القرآن الأربعة، وهي التوحيد، والنبوة، والحشر، والعدالة والعبودية[2].

ومن هذا المنطلق، حاول النورسي جعل رسائل النور أداة لمواجهة لغزو الفكري، فيقول عن رسائله بوصفها تفسيرًا مناسبًا لمواجهة مرحلة الغزو الفكري: "التفسير نوعان: الأوّل: التفاسير المعروفة التي تبيّن وتوضّح وتثبّت معاني عبارات القرآن الكريم وجمله وكلماته. القسم الثاني من التفسير: هو إيضاح الحقائق الإيمانية للقرآن الكريم وبيانها وإثباتها، إثباتًا مدعمًا بالحجج الرصينة والبراهين الواضحة. ولهذا القسم أهمية كبيرة جدًّا. أمّا التفاسير المعروفة والمتداولة، فإنّها تتناول هذا النوع الأخير من التفسير تناولاً مجملاً أحيانًا. إلاّ أنّ رسائل النور اتّخذتْ هذا القسم أساسًا لها مباشرة، فهي تفسير معنوي للقرآن الكريم، بحيث تلزم أعتى الفلاسفة وتسكتهم"[3].

منهج النورسي في التعاملمع أحداث الغزو الفكري في تفسيره للآيات القرآنية

لقد كثرت أنماط التحدّيات والهجمات الفكريّة على العقائد الإسلامية في عصر النورسي، بقصد تشكيك المسلمين في دينهم وقرآنهم ومقدساتهم، فأدرك النورسي أنّ مواجهة هذه الموجات العنيفة الحديثة لا يمكن أنْ تفيد فيها

---

[1] وقد تناول د. فريد الأنصاري هذه الموضوعات الستة كمصطلحات أساسية في رسائل النور في كتابه (مفاتح النور).

[2] ينظر: عمار جيدل، **مقاصد رسائل النور في ضوء القرآن الكريم**، ص124-125.

[3] سعيد النورسي، **الشعاعات**، ترجمة إحسان قاسم الصالحي (القاهرة: شركة سوزلر، 2000م)، ص562.

أساليب الكلاميين القدماء، إنّما تحتاج إلى أسلوب جديد منطقي في أساسه، علمي في أدلّته، منسجم مع روح العصر، معبّر عنه بأسلوب واضح قريب من القول.

كانت مصنّفات أغلب العلماء السابقين والكتب القديمة للصالحين تبحث عن ثمار الإيمان ونتائجه، وفيوضات معرفة الله، ذلك لأنه لم يكنْ في عصرهم تحدٍّ واضح، ولا هجوم سافر لجذور الإيمان وأسسه، إذْ كانت تلك الأسس متينةً. أمّا في عصر النورسي فهناك هجوم جماعيّ منظّم على أركان الإيمان وجذوره، لا تستطيع تلك الكتب التي كانت تخاطب المسلمين فحسب أنْ تقف أمام هذا التيار القويّ، ولا أن تقاومه وتصدّه.

وقد أحسن النورسي التعامل مع أحداث الغزو الفكري التي عاشها في عصره، فوضع لنفسه منهجا يسير عليه في تفسيره للآيات القرآنية.وفي هذا البحث نتناول بعضا منها كما يأتي:

(1) استثمار التأويل في قراءة الواقع

لقد أصّل النورسي منظومة معتبرة أناط الجهد فيها بتحقيق توعية الأمة وتبصيرها بما كان الأعداء يحيكونه لها من ويلات. لقد كانت قراءته لهذا المستوى من الآثار الدينية وجهًا يندرج ضمن روح الجهاد التي انبرى بها للفساد والردّة. كما أنّ هذا الوجه من القراءة والتأويل قد كشف الاستراتيجية التأويلية التي تبناها، بوصفها موقفًا فكريًّا ملتزمًا ومتصدّيًا للعدوان.

ويندرج ضمن نطاق هذه المنظومة: تأوّله الملهم لحديث السفياني، لقد تتبّع جزئيّات هذا الأثر، واستقرأ منها بكل فطنة خصائصَ حدّد بها عيِّنا تبشرية كان دورها التغريبي رئيسيًّا فيما عرفته أحوال تركيا ما بعد الخلافة. فقد ورد في

الأثر: أنّ السفياني من أشخاص آخر الزمان ستنخرق كفه[1]. ووجدنا النورسي يخرّج معنى هذا الحديث بقوله: "إن أحد أوجه التأويل لهذا الحديث والله أعلم: لا يبقى المال في يده، لكثرة إسرافه وتبذيره في السفاهة واللهو والعبث، فالمال يجري في كفّه إلى الإسراف"[2].

ويبدو أنّ النورسي لم يشأ أن يدخل إلى غايته التأويلية تلك، هذا المدخل الإسقاطي الطباقي، ولم يتبعه إلا لتعرية مخازي عهد ونظام إدارته وحركة دواليبه غواية السفياني. وذاك ما كفله له اختيار هذا النصّ الشريف، إذ هيأتْ قراءته للداعية أن يشخّص الداء كما جسّدتْه أفعال المرتدّين، وهذا بالمطابقة الضمنية لأفعالهم بأفعال السفياني كما سجّلها الحديث الشريف، ومن هنا جاء منحى الخطاب التأويلي متّسمًا بسمة التشنيع.

إنّه نوع من استدعاء المسكوت عنه، وإثارة القول فيه، بطريق متناهية الكياسة، دونما الوقوع في المواجهة، وتستثمرها بقصد التقليل من الأثر الإداني الذي تلحقه بها مثل تلك القراءة الاستقرائية المترفعة عن اتّباع أساليب التصريح والمباشرة، في مواطن لا يقصر فيها الإيعاز عن الكشف عما يريد الكشف عنه.

وهكذا أتيح للنورسي منهج المقاربة بين رموز الردّة، كما كانت تجسّدها مواقفهم في أرض الواقع وبين نعوت السفياني، كما أخبرتْ عنه السنّة الشريفة، أن يكشف جملة من جوانب الفساد والانحراف التي سبّبتْها سياسة السفياني وأن يشهرها، وأن يعمل من خلال ذلك على كسب الناس إلى جانب الحقّ، وتحصينهم بالحقّ على طريق الحقّ.

---

[1] ذكره النورسي في كتابه الشعاعات واعتبره حديثًا، إلا أنني لم أجد هذا النص في كتب الحديث ولا في وصف السفياني في آخر الزمان. فيحتمل أن النورسي يذكر هذا النص في معنى الحديث، ولكنني لم أعرف ذلك النص بالضبط. ينظر: النورسي، **الشعاعات**، ص109.

[2] النورسي، **الشعاعات**، ص109.

هكذا يتصدّى النورسي من خلال قراءة جانب الأثر الشريف، ويسقط دلالته التأويلية على الواقع التركي والإسلامي والعالمي السائد آنذاك، للتخذيل عن المسلمين، وتوعيتهم، وإبراز المحاذير التي حملتها الآثار الشريفة، فاضحا بذلك خطط الردّة، وموعزا للشعب بالكيفيات التي تكفل له التماسك والبقاء على الجادة.

إنّ قراءة الواقع وتأويله في ضوء النصّ المقدس قد شكل أحد أسلحة المدافعة والاقتحام التي دك بها النورسي قلاع الانحراف والكفر، تلك القلاع التي أقامتها الكمالية الطورانية والصهيونية المدعِّمة لها واستهدفت بها ضرب الاسلام في الصميم.

(2) تدعيم الوحدة الفكرية الإسلامية

يرى النورسي أنّ الاجتماع والتعاون في هذا العصر ضرورة لحياة للمسلمين، "فهم في غاية القلة والضعف والفقر، وأعداؤهم على قوة ومنعة، ويلقون بالشبهات لصرف قلوب أبنائهم عن الإسلام"[1]. فهل يستجيز العاقل منهم أن يصرف جهده لتتبع عثرات إخوانه ويجتهد لحمل الناس على التزام المندوبات والمستحبات أو حتى بعض الواجبات المختلف فيها، أو يعلن الحرب على المسلمين لأنهم مبتدعة والعدو يعلن الحرب على الجميع؟ فبداهة العقل تفرض الاجتماع وإلا يعجز المسلمون عن الدفاع عن حقوقهم بل حتى عن الحفاظ على حياتهم.

ويزيد النورسي هذه الحقيقة بيانا بالوقائع والشواهد والأمثلة من واقع الناس وحياة البشر، فيقول: "إنّ هذا الزمان لأهل الحقيقة زمان الجماعة، وليس

---

[1] النورسي، **اللمعات**، ص241.

زمان الشخصية الفردية وإظهار الفردية والأنانية. فالشخص المعنوي الناشئ من الجماعة ينفذ حكمه ويصمد تجاه الأعاصير"[1].

من أجل الوصول إلى الوحدة الفكرية الإسلامية، ويرى النورسي أنّ هناك أمراً مهمّاً يجب على المسلمين أن يطبقوه في حياهم العملية، وهو الحرص على جعل الاختلاف في النظر، والاجتهاد سببا لإظهار الحق وازدهار المعرفة وثراء الفكر الإسلامي.

فمن المعلوم أن جمعَ المجتهدين على رأي واحد فيما ليس موضعًا للقطع، لن يتأتّى أبدًا، ولا يَظنّ ذلك إلا من جَهِل خصائص الشريعة وموارد أدلتها، وجهلِ حقيقة الحياة وطبائعَ البشر. وإنّما الواجب على أهل الحق، أن يجعلوا اختلافهم اختلافًا محمودًا وهو الذي سماه النورسي بـ"الاختلاف الإيجابي البنَّاء المثبت"، حيث يسعى كل واحد لترويج مسلكه وإظهار صحة وجهته، وصواب نظرته، لكن دون أن يسعى إلى هدم مسالك المخالفين له، ولا الطعن في نظرهم، لأنهم وإن خالفوه في النظر والاجتهاد فلعلهم نظروا إلى ما لم ينظر إليه، ونظر هو إلى ما لم ينظروا إليه. فليكن إذن غرض كل واحد هو إكمال النقص. ثم إن الفريقين وإن اختلفا هنا فإن ما يجمع بينهما أكبر من ذلك، وهما قبل ذلك وبعده متفقان على الأسس والغايات المقطوع بها.

يبيّن النورسي أنّ من أسس منهج الاختلاف، أنّ اختلاف العلماء وتناظرهم لا يكون منه بالضرورة إسقاط عدالة بعضهم والغضّ من قدره بسبب أنه خالف من نُحبّه ونجلّه، فإنكار العالم على الآخر لا يسقطهما أو أحدهما من مقام العلم والولاية[2]. ومن ذلك وجوب الإقرار بالحقّ إذا ظهر على

---

[1] المرجع نفسه، ص313.

[2] النورسي، **سيرة ذاتية**، ص317.

لسان كل فريق. وهذا ما سّماه سعيد النورسي دستور الإنصاف، وابتغاء الحقّ الذي ارتضاه علماء فن الأدب والمناظرة.

(3) اعتبار أحوال الزمان المعاصر واستحضار واقع الحال

إنّ مراعاة أحوال أهل الإسلام ضرورية في هذا الزمان، حيث لم يعرف المسلمون من قبل زمناً مثله، من جهة قوّة الباطل وغلبة الشرّ والفساد وإغراء الشهوات، وغير ذلك من أحوال هذا العصر، التي تجعل التمسّك بالدين والتزام التقوى والصلاح، كأنما يحاول المرء نقل جبل أو يعاكس تيارًا قويًّا.

فليس من العقل أخذ عامة المسلمين بالعزيمة والتشديد عليهم، خاصة فيما هو مختلف فيه، مثل الإنكار الشديد على من يكشف الوجه والكفين من النساء، وتفسيق من يجوّز ذلك من العلماء، مع أن الغالب على نساء المسلمين التهتك إلى درجة البهيمية، فكيف يشدد في الإنكار على من خالفت هذا التيار القوي الغالب، وسارت على مذهب معروف عند العلماء.

ومن ذلك؛ أنّ العصر الحاضر ضاعت فيه القضايا الكبرى والمصالح الضرورية التي جاء الشرع بحفظها، فهل يصحّ صرف الجهد إلى القضايا الجزئية التحسينية والتكميلية وقد ضاعت الأصول الضرورية.

ومن نماذج اعتبار النورسي للزمن المعاصر أنّه استحضر حال المسلمين في العصر الحاضر مع عدوّهم. فبخلاف العصور الأولى من تاريخ الإسلام، فإنّ شوكة المسلمين في هذا العصر قد ذبلت وقواهم قد هزلت، وأعداؤهم قد قويت وكثرت، وهي تتربص بهم من كل جانب. فمن عرف هذا واستحضره علم أن أوجب الواجبات هو حفظ دين الأمة، وحماية كيانها ورد شبهات أعدائها، والتصدي للطعنات الآتية من كل جهة، وليس تتبع عورات المسلمين، والإنكار على المقصرين والمخالفين في الفروع والجزئيات، والحطّ على من يتساهل منهم في ذلك، فكيف والعدو واقف على الثغور ويغير المرّة بعد المرّة.

وعلى هذا الأساس فقد كان النورسي من أوائل الدعاة إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية في العصر الحديث، خاصة بين السنة والشيعة[1].

وقد عارض النورسي بعض الجماعات التي أنشئت في عصره للجهاد المادي، ضد الدولة التي تبنت العلمانية، وكان يحضّها على وحدة الصف وتجنّب الفرقة واتّقاء الحركات والأعمال التي تكون سبباً في شقّ صفّ المسلمين واتساع جرحهم[2].

وقد ذهب النورسي أبعد من ذلك وأعمق في مراعاة الواقع المعاصر، فدعا إلى العمل بمبدأ الاحترام وحسن الجوار مع العلمانيين داخل بلاد الإسلام حفاظًا على الأمن وقطعًا للطريق على العدو الخارجي وكل من يروم التشويش على وحدة الصفّ والأمْن[3].

وتحت هذا الأصل أيضًا قرّر -رحمه الله- أنّ العمل على إنقاذ الإيمان في القلوب وتجديده في النفوس، وهداية الضالين والمنحرفين، وإقامة الحجة على الملحدين، أعظم أثرًا وأكبر أجرًا من الاجتهاد في نيل مقامات العارفين، والترقّي في درجات السالكين؛ لأنّ هذا العصر عصر إنقاذ الإيمان، وليس عصر الطريقة والولاية.

---

[1] وقد دعا إلى هذا التقريب جماعة من المصلحين في العصر الحديث من السنة والشيعة، وأنشئت من أجل ذلك "دار التقريب" بالقاهرة، ثم من بعدها "المعهد العالمي للتقريب" بطهران. انظر: عبد الكريم عكوي، **تاريخ التقريب بين المذاهب الإسلامية**، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، عدد مزدوج 21-22، ص27-46.

[2] أورخان محمد، **سعيد النورسي رجل القدر في حياة الأمة**، ص44-45.

[3] ينظر: هدى درويش، **الإسلاميون وتركيا العلمانية**، (القاهرة: دار الآفاق العربية، ط1، 1998م)، ص149.

(4) الموضوعية في تقويم الأفكار والأشخاص

إن الميزان الذي به توزن الأقوال، ويعرف الصواب من غيره، ليس هو شخص القائل، فنَزِنَ الحق والعلم بالرجال، فتكون الرجال حجة على الحق، فنقول الحق كذا لأن فلانا قاله، أو ما دام هذا المذهب مذهب فلان فهو خطأ. فالنظر يكون إلى الأفكار في ذاهّا، من غير أن يؤثر شخص القائل في التقويم من جهة الصحة والخطأ[1].

ولقد كان النورسي يحثّ طلبته على ضرورة النظر إلى ما أودعه من أفكار في رسائل النور، وألا يلتفتوا إلى شخصه. وكان كثيرا ما يأمر بالتثبت فيما يلقيه على طلبته، وعرض ما يأخذون من أفكاره على ضوابط البحث العلمي، وسبره بميزان منهج المعرفة الإسلامية القائم على قبول الحق حيث ما كان ورد الباطل على صاحبه مهما كان مقامه في العلم والفكر، ومهما علا قدره في الدين والأمانة.

ويدخل في هذا الأصل أيضًا عدم التعيين، والكفّ عن ذكر الأسماء، وتسمية الأشخاص عند تصحيح الأفكار ومناقشتها والرد عليها. فإذا تعيّن الرد والتصحيح، فليكن الرد على الأفكار كما هي من غير نسبتها على التعيين، وذلك لقطع طريق نزعات النفس عند هذا المخالف، وليبقى أقرب إلى الإنصاف.

وقد كان هذا منهج النورسي، ويظهر ذلك واضحًا في رسائل النور. على الرغم من أن رسائل النور في جملتها ردّ على معظم المذاهب والأفكار المتداولة في عصره، خاصة أفكار العلمانية والمتصوّفة وبعض علماء عصره، إلاّ أهّا لا تذكر الأشخاص ولا تعين المقصود بالرد والتصحيح. وعندما يحكي

---

[1] يخرج من هذه القاعدة ما قام به علماء الحديث، حيث إنهم مع اهتمامهم بمتن الحديث فهم يلقون اهتماما كبيرًا فيما يتعلق برواة الحديث كذلك.

كلامًا عن عالم من علماء عصره أو حادثة عنه في سياق الردّ والتخطئة، فإنه يأتي به في الغالب مُبهمًا[1].

ومن فروع الموضوعية في تقويم الأفكار والأشخاص النظر إلى الشخص بحسناته وسيئاته بالنظرة الشمولية. وقد بين المحدثون من قبل أن العدل المرضي ليس من تحققت فيه العصمة من جميع الذنوب والمعاصي، وأنّ الضابط ليس هو من لم يكن له غلط قط، إنّما العدل من غلبت حسناته سيئاته، والضابط من كان ما يحفظ ويتقن أكثر مما يغلط فيه[2].

ومن النظر الشمولي والمنهج المستوعب الذي أدركه النورسي في عصره، الموازنة بين المصالح والمفاسد، وبين المصالح المتفاوتة بعضها ببعض، والمفاسد المتفاوتة بعضها ببعض. والنظر السليم يقوم على قاعدة تقديم أعظم المصلحتين عند التعارض، وتقديم أهون الشرين، وارتكاب الشرّ لدفع شرّ أكبر منه إذا لم يمكن دفعه بالخير.

ومن الوقائع التي تدلّ على رسوخ هذا الأصل عند النورسي ووضوحه في ذهنه، مشاركته رحمه الله في انتخابات عام 1957م، وإعطاء صوته للحزب الديمقراطي. يقول أورخان محمد علي: "ومع أنّ المسلمين لم يكونوا ينظرون إلى الحزب الديمقراطي كحزب إسلامي، رغم وجود جناح إسلامي فيه، إلاّ أن توليه الحكم منذ سنة 1950م وما أشاعه من جو الحرّيّة في البلد، وإرجاع الأذان الشرعي، والقيام بتدريس الدين الإسلامي في المدارس، وكان قبل ذلك ممنوعًا في عهد حزب الشعب، إنهاء العداوة الوحشية

---

[1] ينظر: النورسي، **اللمعات**، ص238.

[2] ينظر: صبحي الصالح، **علوم الحديث ومصطلحه**، (بيروت: دار العلم للملايين، ط7، 1973م)، ص131.

للإسلام. ومع أنّ النورسي لم يدخل ساحة السياسة إلاّ أنه قرّر الاشتراك في هذه الانتخابات وإعطاء صوته للحزب الديمقراطي"[1].

(5) الاهتمام بتشخيص داء الأمة والبحث عن العلاج

لقد شخّص النورسي العلة التي تعيق المسلم، فردا وجماعة ومجتمعا، عن اعتناق الحياة الفاعلة البنّاءة المنسجمة مع مقاصد الوجود، كما قضى بها الله على عباده. لقد جعل الفرد المسلم التمزقات تراثا مشتركا، يتوارثه الخلف عن السلف، وتفاقم من أدوائه الأجيال بما تضيف إليه من تصدعات. الأمر الذي يستتبع استفحال بواعث العجز والقصور، وهو ما يعطل حركة الحياة، ويجعلها رديفا للمأساة، إذ يعدم الفرد فيها أدنى أسباب الأمل والتفاؤل والوثوق.

من هنا كان وجه المقارنة منعدما بين حال الغرب، وحالنا نحن المسلمين، بين تلاحق ثمار الأفكار لديهم، وانقطاعات سعى المجتهد الفرد المخذول عندنا.

وفي هذا السياق يلتفت النورسي إلى تسجيل ملاحظة على درجة من الأهمية، حين يستدرك على كثير ممن تطيب أنفسهم أن يعقدوا مثل هذه المقارنة بين حال أوروبا وحال المسلمين، خصوصاً حين تكون نفوس هؤلاء المقارنين موجهة بمشاعر الاستلاب، إذ يغدو موقفهم ذلك محض محاكمةٍ وتشف وتخذيلٍ لأي بادرة توق إلى الوقوف.

لقد كان هذا شأن من أسماهم النورسي لقطاء أوروبا، فأولئك كانوا يوازنون بين الحالين الحضاريتين لإظهار افتتانهم بالغرب، ونفورهم من أمتهم. كما أن ذلك الموقف الاستعلائي كان يصطبغ عندهم بالهجاء الموجّه إلى الملّة.

---

[1] أورخان محمد، **سعيد النورسي، رجل القدر في حياة الأمة**، ص266 – 267.

وزيادة على التحريك الاستلابي الذي كان يوجّههم ضد ذاتيتهم، فقد وقف هؤلاء موقفًا يُظهرون من خلاله تعاليهم على أمتهم، وغرورهم بأنفسهم، مبدين على ذلك الوجه عداءهم السافر والمرضي للإسلام[1].

ومما لا شك فيه أنّ النورسي كان يتصدى بهذا التجريح لقوى الاستلاب إلى حكام تركيا أنفسهم، من هنا وجدناه يَقرعهم على ما كانوا يبدونه من عواطف نقمة وكراهة لأمتهم، فقد كان المتوقع منهم أن يظهروا ما ينبغي إظهاره من المشاركة وإبداء الشفقة على تلك الأمة باعتبارهم حكامها وساستها والقائمين على خدمتها.

بل لقد كان النورسي يتوجه إلى كل حاكم طابقت روحه روح تلك الزمرة التي تقهقرت ببلاد عبر هاوية الارتداد؛ إذ إنّ الحاكم الطاغية، "وبحكم الفرعونية والأنانية والغرور، يضع الشعور بالتحقير بدلاً من الشعور بالشفقة، والميل إلى النفور من الأمة بدلاً من ميل الانجذاب إليها، وإرادة الاستخفاف بها بدلاً من محبتها، ويصمها بالجهل بدلاً من احترامها، ويرغب في التكبر عليها بدلاً من الرحمة بها، ويقيم روح الانفرادية بدلاً من روح التضحية والفداء لها، فيثبت بهذا كله، أنه لا يملك حمية للأمة، وأنه مبتوت الأصالة، فيكون جانيًا منفورًا في نظر الحقيقة، بحيث يتصرّف تصرّف الأحمق الأبله، كمن يحاول إلباس ملابس أعجبته لراقصة ساقطة في باريس، عالماً فاضلاً في المسجد"[2].

فإظهار الحمية نحو الجماعة والملة هو وازع إنساني يعبر عن أصالة، لاسيما إذا كان هذا الفرد ولي أمر ومسؤول. وبغير ذلك لا يكون الحاكم يحمل بين جوانحه إلا نفسا سافلة، لا تحوز على أي شأن، "ذلك لأن الحمية

---

[1] النورسي، **صيقل الإسلام**، ص370.

[2] المرجع نفسه، ص370.

هي نتيجة ضرورية للمحبة والاحترام والرحمة، فلا حمية بدون هذه الأمور، وإلا فهي حمية خادعة، والنفور من الأمة خلاف الحمية أيضا"[1].

لقد كان النورسي يرى أن من واجب أولئك الساسة المستلبين أن يظهروا مستوى من التعاطف يبرر انتماءهم، ويسوغ تقدمهم لقيادة الأمة والتحدث باسمها، بل لقد كان يريد منهم أن يعربوا عن شيء من التعصب، على نحو ما كان يفعل الغربيون مع رموزهم ورجالاتهم. لقد كان النورسي يرى في تعلق قساوسة الكنيسة بأسماء أمتهم مثلاً، وجهًا كان حريًّا بالمستلبين من أبناء الأمة أن يحتذوه حيال تراثهم ورموزه.

لقد كان قساوسة أوروبا يشنّعون على تراثنا وبممثليه، على قدر ما يظهرون من تعصّب لتراثهم وأقطابه، "فقساوسة أوروبا الذين يشنّون هجومهم على المتعصبين عندنا، كل منهم أكثر تعصبًا وتزمتًا في مسلكهم السقيم، فلو مدح عالم ديني الشيخ الكيلاني بإفراط كمدح أولئك لشكسبير، لكفر"[2].

(6) التكاملية بين التفسير وعلوم العصر

لقد استوعب النورسي معارف عصره من خلال دراسته لعلوم العصر والاطلاع على نظرياتها في الاجتماع، والاقتصاد، والسياسة، والعلوم البحتة الأخرى كالفيزياء، والكيمياء، والرياضيات. وظّف النورسي هذه العلوم لمناقشة نظرية دارون (1859-1882) Darwin Charles Rovert في أصل الأنواع والتي أراد المتغربون أن يجعلوها سببًا لإنكار الخالق فتصدى لهم، وكذلك في النظريات الأخرى في السياسة والاجتماع[3].

---

[1] النورسي، **صيقل الإسلام**، ص370.

[2] المرجع نفسه، ص370.

[3] ينظر: أورخان محمد علي، **النورسي رجل القدر في حياة الأمة**، ص21-31 و34.

يرى النورسي أنّ حديث القرآن عن الشمس والقمر وحكمة خلقهما ووظيفتهما، والحديث عن الجبال والبحار والسحاب والمطر وما يصحبه من رعد وبرق والتصعد في السماء، كل ذلك إعجاز أورده القرآن ليقيم به الحجة على الإنسان. وقد عدّ القرآن البحث في هذا الكون عبادة رفيعة يتقرب بها إلى الله.

إنّ في القرآن تبيانًا لكل شيء، ولكن لا يستطيع كل واحد أن يرى فيه كل شيء، لأنّ صور الأشياء تبدو في درجات متفاوتة؛ صراحة أو إشارة أو رمزًا أو إيهامًا أو تنبيها في القرآن، فيعبر عنها ضمن أساليب بلاغته وحسب الحاجة، وبمقتضى المقام والمناسبة.

إنّ نظرة النورسي إلى التفسير نظرة شمولية تلائم خصائص القرآن الكريم الذي طرح قضايا شاملة، وخاطب الناس كافة في كل عصر من العصور، لذا فهو يرى أنّ الطريق الأمثل لإخراج تفسير جامع للقرآن الكريم يستجيب لحاجة العصر هو في اجتماع لجنة من كبار العلماء المتخصصين، كل في مجال تخصصه، يقوم كل عالم بدراسة مستفيضة في جانب من جوانب القرآن الكريم، فيحصل من مجموع تلك الدراسات تفسير جامع للقرآن الكريم مستجيب لمستحدثات العصر[3].

لقد اعترف النورسي أنّ التكامل بين علوم الشرع وعلوم العصر لا يتم بمجهود علماء الشرع فحسب، ولا يتم كذلك بمعزل عنهم، ومن الحماقة أن نتصور أن عملية التكامل يمكن أن تتم بمعزل عن المتخصصين في علوم الشريعة ليخلو الأمر إلى علماء الإنسانيات والاجتماعيات الذين يعوزهم المنهج المتكامل، والمؤهلات الكافية في التعامل مع القرآن، بل لا بد أن تتضافر كل

---

[3] ينظر: النورسي، **إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز**، ص20.

الاختصاصات على ذلك. هذا ما أشار إليه النورسي في دعوته إلى تفسير القرآن من قبل جماعة متخصصة من العلماء تجمع تخصصاتهم علومًا شتى، "وذلك للكشف عن معاني القرآن وجمع المحاسن المتفرقة في التفاسير، وتثبيت حقائقه المتجلية بكشف الفن – العلم الحديث – وتمخيض الزمان من انتهاض هيئة عالية من العلماء المتخصصين المختلفين في وجوه الاختصاص، ولهم مع دقة النظر سعة فكر لتفسيره"[1].

وهذه دعوة صريحة إلى تفسير موسوعي للقرآن يقوم على أساس تضافر جميع التخصصات وتعاضدها، إن في العلوم الإنسانية والاجتماعية أو في العلوم الكونية والطبيعية. لكن لا يفهم من هذا أن التفسير يكون على هيئة اجتماعات منتظمة، ولقاءات عديدة، بل يوجه النظر إلى طبيعة المنهج الصحيح في تفسير القرآن، منهج يقوم على تعاون مستمر، والتقاء مثمر تشارك في ميادين شتى في التخصص المعرفي لخدمة القرآن وابراز اسراره الدالة على اعجازه.

خاتمة

كشف البحث بعد أن عرف بالإمام بديع الزمان النورسي عن منهجه الذي تأثر بالغزو الفكري، والذي صبغ الحياة الفكرية والاجتماعية في الدولة العثمانية بعد مجيء جمعية الاتحاد والترقي العلمانية، فاختار في منهجه التفسيري توظيف العلوم التطبيقية والاجتماعية في المنافحة عن القرآن والإسلام لمدافعة هذا التيار العارم. وظهر هذا التأثير في:

1- توظيف علوم العصر في دحض شُبه العلمانيين ضد القرآن.

---

[1] النورسي، **إشارات الإعجاز**، ص25.

2- استخدام التفسير الإشاري في استنطاق الآيات واستنباط معانٍ تعالج الانحرافات الاجتماعية والسياسية والفكرية، ولا تقع تحت طائلة المضايقات الأمنية.

3- من أوائل المفسرين الذين فطنوا إلى منهج التكامل بين العلوم الشرعية والعلوم الطبيعية والإنسانية.